

التسامح الإسلامي وأثره في التعايش السلمي وبناء المجتمعات

Islamic tolerance and its influence on peaceful coexistence and building societies

إعداد

د. نوال الصادق أحمد الطيب

Dr. Nawal Al-Sadiq Ahmed Al-Tayeb

جامعة بخت الرضا - كلية التربية – نعيمة – السودان

Doi: 10.21608/jasis.2023.276530

استلام البحث ٢٢ / ٩ / ٢٠٢٢

قبول البحث ١٤ / ١٠ / ٢٠٢٢

الطيب ، نوال الصادق أحمد (٢٠٢٣). التسامح الإسلامي وأثره في التعايش السلمي وبناء المجتمعات. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٧(٢٢)، يناير، ٢٦١- ٢٨٨.

http://jasis.journals.ekb.eg

التسامح الإسلامي وأثره في التعايش السلمي وبناء المجتمعات

المستخلص:
الحمد لله الذي حبانا ديناً سمحاً ومنحنا الخيرية وجعلنا أمة وسطاً لنكون شهداء على الناس ويكون الرسول صلّ الله عليه وسلم شهيداً علينا. لقد ميَّز الله الإسلام بالسماحة وجعلها سمة بارزة ليتحقق للناس العيش بسلام وأمان واستقرار مع وجود التباين والاختلاف في الاعتقاد والمذاهب والأفكار والأجناس والأعراق ،بينما يكون مقياس التفاضل بيهم هو التقوى. لما تأملت في واقعنا المعاصر فرأيت أن دائرة الكراهية والتعامل بالعنف تتوسع يوماً بعد يوم،فرأيت أن المجتمعات بحاجة إلى السماح والعفو وقبول الآخر، ولايخفى أن الإسلام نادى بمبدأ المساواة والعدالة ونبذ العصبية والعنصرية والتعنت فيها،والتعاون على إرساء دعائم التسامح وأسسه حتى يستطيع المجتمع تحقيق مهمة الاستخلاف في الأرض وتطبيق مقاصد الشريعة الإسلامية وكلياتها ؛ ممايؤدي لسيادة ثقافة السلام والمحبة والأمان، وبالتالي عمارة الأرض ونهضة الأمة فتنعم بالسعادة في الدارين.وعلى ضوء كل ما سبق قررت اختيار الاطروحة المتواضعة أعلاه لبيان حقيقة التسامح في التشريع الإسلامي وكيفية الاستفادة منه في بناء التعايش السلمي بين المجتمعات المعاصرة.

كلمات مفتاحية : التسامح ، التعايش السلمي.

Abstract:

Praise be to Allah, who gave us a tolerant religion, granted us charity, and made us a middle nation, so that we could be witnesses for the people, and the Messenger, may God bless him and grant him peace, be a witness for us.Allah has distinguished Islam with tolerance and made it a prominent feature so that people can live in peace, security and stability with the presence of variation and diversity in belief, sects, ideas and races , while the good people are those whom are obligated themselves to Allah piety. When I contemplated our contemporary reality, I saw that the circle of hatred and dealing with violence is expanding day by day, so I saw that societies need forgiveness, forgiveness and acceptance of each other. The succession over the land and the application of the objectives and universality of Islamic law; Which leads to the dominance of a culture of peace, love and security, and thus the construction of the land and the renaissance

of the nation, so that all will enjoy happiness. In light of all of the above, I decided to choose the modest thesis above to show the reality of tolerance in Islamic legislation and how to benefit from it in building peaceful coexistence among contemporary societies.

مقدمة:

قال تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَافَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إنّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١)

إن التسامح من الصفات الجليلة التي اتصف بها الحق تبارك وتعالى ، فهو العفو الغفور .

قال تعالى:(فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورا) (2)

ولقد اختار لعباده الدين الحنيفيّ السمح وسماه الإسلام والذي جاء بالسلام المنشود.

كما أنه تعالى اصطفى خيرة خلقه رسول الله صل الله عليه وسلم

والذي كان التسامح من أميز سماته وأنبل صفاته ،وهو من امتدحه الباريء في محكم تنزيله قائلا :(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم)(3)

وإن دل كل ذلك إنما يدل على أهمية التسامح في حياة الناس بل وحاجتهم إليه ليستقيم أمر دينهم ودنياهم ، وما آلت إليه أحوالهم اليوم جعل حاجتهم تزداد وضرورتهم تشتد لتفعيل مثل هذه القيم الخلقية العالية والرفيعة بسبب العداوات والخلافات والعصبيات المتعنتة والتي جرّت الشقاء للبشرية وحرمتهم من الهدوء والأمن والراحة والاستقرار...

ومن هذا المنطلق آليت على نفسي أن ادلو بدلوي وأسهم بالقليل المتواضع من الجهد في بيان أهمية التسامح وأثره في التعايش السلمي وبناء المجتمعات، والتي قاست وعانت بسبب غيابه وتفعيله في الواقع المعاش

أسباب إختيار الموضوع:

_ مايشهده العالم اليوم من عنف وتطرف وبغض وخلافات وعصبيات انتهت بالإنسان إلى تهيئة نفسه ولو بالسلاح ليقف في وجه عدوه من بني جنسه.

_ قطع الطريق أمام المفسدين ودعاة الفتن والعصبيات والحروب أعداء السلام لتحقيق أجندتهم الخاصة.

(1) سورة الشورى الآية 40

(2) سورة النساء الآية 99

(3) سورة القلم الآية4

_ حاجة الانسانية للبناء والتنمية والتي لا تتحقق مع عدم الأمن والاستقرار.
_ تلبية تطلعات الأمة الإسلامية للعودة لدورها الطليعي الرائد في قيادة البشرية إلى بر الأمان.
_ إزالة المفاهيم الخاطئة والمشوهة كالارهاب والتطرف ونسبتها للإسلام.

أهداف البحث :

_ إيجاد الحلول المناسبة والممكنة لقضية الخلافات والعصبيات المتعنتة.
_ بسط القيم والمبادئ الأخلاقية التي تعزز من السلام والأمن والاستقرار في المجتمعات.
_ سيادة روح التعايش والتعارف والتآلف والمحبة بين الناس في المجتمعات المختلفة.
_ إيجاد روح التسامح وتقبل الآخر والتفاعل معه لتحقيق المصالح والمنافع الدنيوية بين أصحاب الأديان والثقافات والحضارات المختلفة.

أهمية البحث:

_ تكشف الدراسة عن أهمية التسامح الإسلامي في إنهاء الخلافات والعصبيات المتعنتة في المجتمعات.
_ كما أنها تبين مدى أهمية القيم والأخلاق الإسلامية في إسعاد البشرية وخلاصها من الشقاء .
_ وتكشف عن إمكانية التعايش السلمي وبناء المجتمعات عبر تفعيل خلق التسامح الإسلامي بين جميع الناس على إختلاف هوياتهم ومعتقداتهم وأفكارهم وثقافاتهم .
_ كما أن الدراسة تبين مدى الفائدة من هذا لتباين والتعدد في إثراء المعرفة وتبادل الخبرات والتجارب لتعزيز نهضة وتطور وتقدم الشعوب وترقية مجتمعاتها.

منهج البحث:

اتبعت الباحثة في دراستها المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وذلك بالقيام بتصفح المَواطن التي لها صلة بموضوع البحث،ومن ثَم التعقيب بآراء أهل العلم حول الموضوع ما أمكن.

الدراسات السابقة:

مما لا شك فيه أن أهمية الموضوع وحاجة الناس إليه جعلت العديد من الدراسات تتناول الموضوع ولكن من زوايا مختلفة.
وفي حدود بحثي لم أجد دراسة تطرقت إليه بهذا الطرح الذي تمت صياغته في هذا البحث.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المبحث الأول: التسامح ماهيته وأهميته في التشريع الإسلامي.

التسامح في اللغة:

وردت مفردة التسامح في معاجم اللغة العربية بمعاني متعددة منها:

التسامح: (سمح) السين والميم والحاء أصل يدل على سلاسة وسهولة، يقال سَمَحَ له بالشيء ، ورجل سمحٌ،أي جواد ، وقومٌ سُمَحَاء ومساميح.

ومن الباب : المسامحة في الطِّعان والضرب ، إذا كان على مساهلةٍ ، ويقال رمحٌ مُسمّح : قد ثقف حتى لانَ. (4)

تسامح في، يتسامح تسامحاً ، فهو متسامح، والمفعول مُتسامَحٌ فيه، التسامح الديني: إحترام عقائد الآخرين.

تساهل في الأمر : تسامح (تسامح في عقابه- تساهل مع معارضيه)(5)

والمسامحة : المساهلة. وتسامحوا :تساهلوا.

وقولهم : أسمحت قرونته : أي ذلت نفسه وتابعت.(6)

وبالنظر إلى مدلولات التسامح في اللغة نجد أنها تتلخص في معنى الجود والعطاء والمساهلة والسلاسة والتذلل والسهولة.

كما أن هناك مترادفات لها تحمل المعنى نفسه مثل كلمة (سجح)

كما ورد في بعض المعاجم (سجح : الإسجاح : حسن العفو ، ويقال : إذا سألت فاسجح،أي سهِّل ألفاظك وارفق).(7)

التسامح في الاصطلاح:

بما أن الأصل في التعامل في الإسلام هو التسامح واليسر في كل مجالات الحياة ومع كل الخلق كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأخلاق السلف الصالح وتعاملاتهم ؛ إلا أنه جاء هنا بسبب تعسر الأمور وتعقد العلاقات الإنسانية وإنغلاق آفاق التعاون المجتمعي فأصبح هو المفتاح الذي يفتح أبواب الخير ويحل الخلافات وييسر حياة الناس ويعزز تنميتها وترقيتها ، ولقد تعددت التعريفات الاصطلاحية للتسامح عند العلماء إلا أن ملخص مفهومه على أنه خلق رفيع ووسم جميل يتصف به كبار النفوس عند تعاملهم مع الآخرين تجاوزا لخطئهم وعفوا عن زلاتهم

(4) معجم مقاييس اللغة،أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الراوي أبو الحسين (ت:395)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر1979_1399 مج٣ص٩٩

(5) معجم مقاييس اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت: ١٤٣٤) يساعده فريق عمل،عالم الكتب (١٤٢٩_٢٠٠٨) مج١ ص٢٧٩ .

(6) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٣) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٧ _ ١٩٨٧باب الحاء فصل السين مج١ ص ٣٧٦.

(7) المرجع نفسه،باب الحاء فصل السين، مج١ ص٣٧٢.

وتنازلا عن بعض حقهم وجبراً لخواطرهم وبسطا للمعروف معهم ، وهو ماجبل عليه الإنسان وبه تتحق سعادته في الدنيا والآخرة.

(وهو نوع من أنواع الإحسان إلى النفوس التي جبلت على حب من أحسن إليها، لذا فهو يؤدي إلى المحبة والتآلف ونبذ العنف والتنافر ، فالتسامح هو القلب النابض لحياة طيبة ونفس زكية خالية من العنف والتطرف) .(8).

تلك هي الفطرة السليمة التي جبل الله عليها خلقه ؛ فيكون من السهل على النفوس أن تحب وتألف وتأنس بمن أحسن إليها ،فكذلك ينشأ عنها البغض والكراهية عند غياب سمة التسامح وتكون نتيجة ذلك بادرة التعنت والتطرف والكيل لمن بدأ بمنهج اللاتسامح في معاملته من حوله ،وعندها تشقى المجتمعات وتفتقد مقومات التنمية والتطوير والترقي من أمن وسلام واستقرار.

وليست التسامح على إطلاقه،وإنما في حدود لايمكن تجاوزها؛ أي في حدود عدم التساهل مع من اعتدى على المعتقدات إذ لا تسامح أيضاً مع من وقف في وجه ممارسة الشعائر الدينية أو الدعوة إلى الله .

(ولا يعني التسامح التخلي عن معتقداتنا او لا ندافع عنها أو لا ننتقد الآخر، ولاندعو إلى مانراه عندنا صواباً .(9).

التسامح في القرآن الكريم:

لم يرد التسامح في القرآن الكريم بهذه اللفظة ؛ وإنما هناك مفردات عدة دلت على معناه ودعت إليه ضمناً بصيغ أخرى حملت معاني وقيم خلقية رفيعة .

ويمكن ذكر بعض الآيات التي وردت فيها مفردات مرادفة في معناها للفظ التسامح:

قال تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)(10)

وقال تعالى:(فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً)(11)

وقال جلّ وعلا:(خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ)(12)

وقال عزّ وجل:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُواط لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(13)

(8) سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين، أ.د.حكمت بن بشير بن يس ،الجامعة الإسلامية،المدينة المنورة، ص٢.

(9) المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة،د.عبد المنعم الحفني، ط٣ ،مكتبة مدبولي القاهرة ٢٠٠٠م ص ١٩٣.

(10) سورة البقرة آية ١٠٩

(11) سورة النساء آية ٩٩

(12) سورة الأعراف آية ١٩٩

(13) سورة التغابن آية ١٤

وقال تعالى:(ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ)(14)

وقال تعالى:(وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(15)

وقال تعالى:(وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)(16)

وقال تعالى:(لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ)(17)

وقال تعالى علي لسان سيدنا يوسف عليه السلام مخاطباً إخوته:(قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ)(18)

وقال تعالى:(وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ)(19)

وقال تعالى:(وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَا□وَة□ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيم) (20)

وقال تعالى:(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّٱلْمُتَوَكِّلِينَ)(21)

وقال تعالى:(۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ)(22)

وقال تعالى:(ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ)(23)

وعند تأمل الآيات الكريمة نجد أنها اشتملت على مفردات تحمل معنى التسامح وماهو أسمى منه درجة وأرفع منه قدرا ألا وهي :

العفو والصفح والمغفرة واللين واليُسر والإحسان وغيرها، كما أن هناك أضداد تحمل المعنى نفسه مثل: عدم التثريب وعدم الفظاظة

(14) سورة آل عمران آية ١٣٤
(15)سورة النور آية ٢٢
(16)سورة الشورى آية ٢٥
(17) سورة الكافرون آية ٦
(18) سورة يوسف آية ٩٢
(19) سورة الشورى آية ٤٠
(20) سورة فصلت آية ٣٤
(21) سورة آل عمران آية ١٥٩
(22) سورة العنكبوت آية ٤٦
(23) سورة النحل آية ٢٥

وسنتطرق لبيان المعنى اللغوي لبعض المفردات الآتية :

العفو والصفح والمغفرة:

:(العَفُوُّ،وهو فعول من العَفْوِ،وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه وأصله المحوُ. وصفح عنه يصفح صفحاً: أعرض عن ذنبه. وهو صفوح وصَفّاح: عفُوٌ. والصفوح: الكريم،لأنه يصفح عمّن جنى عليه. واستصفحه ذنبه: استغفره إياه وطلب أن يصفح له عنه .

وأما الصفوح من صفات الله تعالى فمعناهُ العَفُوُّ عن ذنوب العباد معرضاً عن مجازاتهم بالعقوبة تكرماً)(24)

اللين واليسر والإحسان:

(اللين: ضد الخشونة. ويقال: هو في ليان من عيش، أي نعمة، وفلان ملينة، أي لين الجانب.) (25)

(اليسر: ضد العسر، وهو ما كان سهلا سمحا قليل التشديد)(26)

عدم التثريب وعدم الفظاظة:

(والتثريب كالتأنيب والتعيير والاستقصاء في اللوم ، والثاربُ: المُوبّخ، ثَرَبَ وثَرّبَ وأثربَ إذا وبّخَ)(27)

ورجلٌ غليظ: فظّ فيه غِلظة، ذو غِلظةٍ وفظاظةٍ وقساوة وشدة)(28)

فهذه بعض المفردات التي وردت في معنى التسامح والتي حملت معاني وقيم خلقية عظيمة يصعب الإحاطة الدقيقة عما تحمله من بذل للخير والمعروف والإحسان للآخرين والترقي معهم في درجات التسامح والعفو والصفح إذ أن الصفح أعلى درجة من العفو حيث أنه لا يترك أثراً للغبن في نفسه.

فالشاهد في الأمر أن القرآن الكريم وهديه كله ينطلق من التسامح في أسمى آياته وأرفع معانيه وأقصى مضامينه إذ نجد أن التسامح واليسر والإحسان والرفق واللين هو منهجه وأسلوبه في الدعوة والإرشاد والهداية والتوجيه لكل الناس.

كما ورد في الآيات الكريمة أعلاه ،ويكفي الإسلام شرفا أنه لم يعنف ولم يُرغِم أحدا على إعتناقه والدخول فيه .

---

(24) لسان العرب،لإبن منظور محمد بن مكرم بن علي،أبو الفضل جمال الدين بن منظور الانصاري الرويفعي الإفريقي (ت:٧١١ه)،دار صادر،بيروت،ط٣ ١٤١٤ ه ،ج١ ص ١١٨

(25)معجم مقاييس اللغة،أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)تحقيق عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.مج ٥ ، ص ٢٢٥

(26)معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة - بيروت، [١٣٧٧ - ١٣٨٠ هـ] مج٥ ص٥٣٥

(27) لسان العرب لابن منظور،مج ٧، ص٤٥٠ مرجع سابق.

(28) المرجع نفسه،مج ٧، ص ٤٥٠

قال تعالى:(لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (29)

بل اكتفى في الرد على من اتخذ دينا سواه بأن يرده عليه ولن يقبله مع بيان خسرانه في الآخرة ، فلم يُسيّر له جيشاً لإرغامه على ذلك. فوَجْهُ الحق والدليل والبرهان في ظهوره يكفي لمن يبحث عن الحق بصدقٍ أن يهتدي إليه مختارا وليس مرغما ،وهذه ثقة الخالق ويقينه في أنه الدين الحق بلا منازع ولا منافس.

قال تعالى:(وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ)(30)

التسامح في السنة النبوية:

تمثل السنة النبوية الشريفة المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم،وعلى نهجه وهديه سارت ، فكان التسامح فيها مبدأ إيماني وخلق رفيع إتسم به النبي صلّ الله عليه وسلم وكان رائدا في أسلوبه في التعامل مع الآخرين ودعوتهم لدين الله،فكان أحد مقومات نجاحه في قبوله في شخصه وقبول دعوته، لدى من آمن به وحتى من لم يؤمن به إعجابا بمنهجه وأسلوبه في مخاطبة القلوب والعقول التائهة.

قال تعالى: (فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ)(31)

ولقد وصف النبي صلّ الله عليه وسلم الدين بالسماحة قائلا:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سئل النبي صلّ الله عليه وسلم، أي الأديان أحب إلى الله عز وجل ؟ قال: الحنيفية السمحة)(32)

عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلّ الله عليه وسلم قال: (اسمح يسمح لك)(33)

وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة وإن لم تستخدم فيها لفظة التسامح لكنها تتصمن معناه وتدعوا إلى التخلق به ، ومن تلك الأحاديث مايلي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلّ الله عليه وسلم قال:(مانقصت صدقة من مال،ومازاد عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وماتواضع أحد لله إلا رفعه الله)(34)

---

(29) سورة البقرة آية ٢٥٦

(30) سورة آل عمران آية ٨٥

(31) سورة آل عمران آية ١٥٩

(32) أخرجه البخاري في الأدب المفرد بالتعليقات،كتاب الأدب ،باب حسن الخلق،ح رقم ٢٨٧

(33) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)ص٩٨٤ (صحيح) انظر حديث رقم: ٩٨٢ في صحيح الجامع

(34) أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب البر و الصلة ،باب استحباب العفو والتواضع،ح رقم ٢٥٨٨

(وما زاد الله عبدابعفو إلا عزاً) فيه وجهان أحدهما أنه على ظاهره وأن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه ، والثاني أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك)(35)

وهكذا كان المنهج النبوي في التسامح والعفو والصفح والمغفرة..وهو المنهج الذي أمر الله به نبيه صل الله عليه وسلم..وهو النظام المثالي في التعامل مع الآخرين بقصد تحسين العلاقات وإزالة المفارقات وإذابة العداوات بين الناس على إختلافهم وتعدد كياناتهم ،والغاية الكبرى في ذلك هي تحصيل النصلحة وتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية في إسعاد البشرية بتوفير الأمن والاستقرار والسلام.

إن الإسلام نظام كامل وتشريع شامل يتناول شؤون الدين والدنيا دون انعزالية وفصل يقوم منهجه على نظام فريد، قوي في البناء يقرر الصور المثلى والمنهج العادل في العلاقات الدولية الإنسانية والتي تقوم من المنظور الإسلامي على التعاون والتفاهم والحوار وتبادل النفع ورعاية الحرمات، وكفالة الحريات.(36)

ومما يجعل المسلم يعتز ويفخر بدينه ورسالته ونبيه صلّ الله عليه وسلم أنه كان رقماً لايمكن تجاوزه بإعجازه في الكمال البشري وعظمة منهجه في التعامل مع الآخرين غير المسلمين .

فقد ورد في الحديث : عن عبد الله بن عمرو،عن النبي صلّ الله عليه وسلم قال:(من قتل نفسا معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً)(37)

وورد أيضاً الحديث:حدثنا أبو صخر المديني أن صفوان ابن سليم أخبره عن عدةٍ من أبناء أصحاب رسول الله صلّ الله عليه وسلم عن آبائهم دِنية عن رسول الله صلّ الله عليه وسلم قال:(ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أوكلفه فوق طاقته،أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس،فأناحجيجه يوم القيامة)(38)

أفمن كان هذا هديه ومنهجه فهل من العدل والإنصاف أن يوصف دينه أو اتباعه بانهم دعاة التطرف والعنف والإرهاب؟! إلا يمكن ذلك إلا من باب الحسد ..

قال تعالى:(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا وَٱصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(39)

(35) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت:٦٧٦ه) ،دار إحياء التراث العربي،بيروت ،ط٢ ١٣٩٢ مج١٦ ص١٤١

(36)نظرات استشرافية في فقه العلاقات الإنسانية بين المسلمين وغير المسلمين،د. حسن بن محمد سفر،الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات ،ص٣٠

(37) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب إثم من قتل ذميا بغير جرم،ح رقم ٦٩١٤

(38) أخرجه أبو داود في سننه ،باب في تعثير أهل الذمة، ح رقم ٣٠٥١

(39) سورة البقرة آية ١٠٩

قَوْله تَعالى: (فاعفوا واصفحوا) العَفو: المحو، والصفح: الإعْراض، وإنَّما نزل هَذا قبل آيَة القِتال، ثمَّ نسخ بِآيَة القِتال.

(حَتّى يَأْتِي الله بأمْره) يَعْنِي: بشرع القِتال. وقالَ ابْن عَبّاس مَعْناهُ: حَتّى يَأْتِي الله بِأمْر: من فتح قسطنطينية، ورومية، وعمورية.

وقيل: حَتّى يَأْتِي الله بأمْره: من فتح قرى اليَهُود، مثل خَيبر، وفدك، وإجلاء بني النَّضِير، ومثل بني قُرَيْظَة.

(إن الله على كل شَيْء قدير) أي قادر.(40)

ولقد بنى رسول الله صلّ الله عليه وسلم حياته كلها على التسامح ومع كل الناس المسلمين والمنافقين والمشركين واليهود والنصاري والمجوس وغيرهم إلا في المواضع التي يكون فيها تجاوز وتعدي على الحقوق كالبدء بالإعتداء أو الوقوف في وجه الدين والدعوة ومصلحة العامة فهنا يتغير المنهج إلى الجهاد ونصرة الحق ودحر الباطل. والتاريخ الاسلامي و السيرة النبوية يشهدان على ذلك.

وهاهو رسول الله صل الله عليه وسلم عندما عاد إلى مكة فاتحا وهو في موضع القوة وبإمكانه أن ينتقم عمن أخرجوه من وطنه وأحب بقاع الأرض إلي قلبه .لكنه لم يبعث لذلك حاشاه أن ينتقم لنفسه صلّ الله عليه وسلم.

(يامعشر قريش ماترون أني فاعل فيكم ؟ قالوا خيراً،أخ كريم وابن أخٍ كريم!قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء) (41)

كما أن النبي صلّ الله عليه وسلم ربى أصحابه رضوان الله عليهم جميعا على هذه الأخلاق الحميدة والآداب الرّفيعة في التسامح والعفو والإحسان فيما بينهم ومع كل من حولهم من خلق الله..

(ولقد كانت الرحمة واللين واليسر من مفاتيح القلوب لأصحابه -رضوان الله عليهم-، وسر اجتماعهم عليه والتفافهم حوله.)(42)

*(المعاهد هو: الرجل من اهل دار الحرب يدخل إلى دار الإسلام بأمان فيحرم على المسلمين قتله بلا خلاف بين أهل الإسلام) ،نيل الأوطار ،الشوكاني،محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: ١٢٥٠ه) تحقيق عصام الدين الصبابطي،دار الحديث،مصر ،ط١ ١٤١٣_١٩٩٣ مج٧ ص١٨.

(40)تفسير القرآن ، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) تحقيق ، ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ،دار الوطن، الرياض -السعودية ، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م مج١/١٢٦

(41)ذكره الألباني(ت: ١٤٢٠) في السلسلة الضعيفة ١١٦٣ ط١ ٢٤١٢_١٩٩٢ مج٣ ص٣٠٧

(42)اصول الدعوة وطرقها ،مناهج جامعة المدينة العالمية،الناشر جامعة المدينة العالمية،ص٢٦٧

عن أنس بن مالك: أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال:(لا تباغضوا و لا تحاسدوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال)(43)
وعن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله صلّ الله عليه وسلم قال:(لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)(44)

المبحث الثاني: أنواع التسامح وأسسه.

أولا: أنواع التسامح:

التسامح الديني:

قال تعالى:(لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(45)
وقال عزّ وجل (لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ)(46)
هذا هو منهج الإسلام في التعامل مع الآخر غير المسلم ، وقد أمر المسلمين بالتسامح والإحسان لأهل الكتاب على أنهم شركاء في الخلق والإنسانية يجب احترامهم وعدم الإساءة لمعتقداتهم والتعايش معهم والتسامح معهم مالم يكن لديهم سوء نية بالإعتداء والظلم .
(وبلغ من تسامح الإسلام مع الأديان الأخرى أنه آمن بجميع الرسل من آدم إلى عيسى عليهم السلام ،حتى أن كتب التوحيد تقول أنه يجب على المسلم-او في الأقل يحسن به - أن يؤمن بالرسل جميعا وأن يعرف أسماء خمسة وعشرين منهم ،ومن بين هؤلاء موسى وعيسى حتماً)(47)
قال تعالى:(ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّ□ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ....)(48)

(43) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب الهجرة ، ح رقم ٦٠٧٦
(44) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب البر و الصلة،باب تحريم الهجر فوق ثلاث ليال بلا عذر شرعي، ح رقم ٢٥٦٠
(45) سورة البقرة آية
(46) سورة الممتحنة آية ٨
(47)التسامح في الإسلام،محمد أحمد حسونة بك ومحمد خليفة التونسي،دار الكتاب العربي،مصر ص٢٤
(48) سورة المائدة آية ٥

(لأن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يجعل من الإنسان الذي ارتبط بالسماء ارتباطا حقيقيا كالمسلمين، ومن ارتبطوا بالسماء وإن اختلف تصورهم لله، يريد سبحانه أن يكون بينهم نوع من الاتصال لأنهم ارتبطوا جميعا بالسماء، ويجب أن يعاملوا على قدر ما دخلهم من إيمان باتصال الأرض بالسماء. ولا يصح أن تمنع واحدًا من أهل الكتاب من طعامك؛ لأن الله يريد أن ينشئ شيئا من الألفة يتناسب مع الناس الذين سبق أن السماء لها تشريع فيهم ويعترفون بالإله وإن اختلفوا في تصوره.)(49)

وكثيرا ما نقرأ أنباء من يشرح الله صدورهم للإسلام، فنجدهم حيث يذكرون دواعي اهتدائهم، يصرحون بأن من هذه الدواعي: ما يرونه في هذا الدين من سعة الصدر، والأمر بالرفق والإحسان في معاملة المخالفين، وبأن لا يزاد عند جدالهم على دفع الشبهة بالحجة.(50)

التسامح العرقي:

قال تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(51)

اقتضت حكمة الله تعالى تعدد الأعراق والأجناس واللغات واللهجات في خلقه للبشر؛ وذلك لما تقتضيه المصلحة العامة والتعارف و التآلف بينهم لأجل التعايش السلمي وتحقيق المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية، ولو لم يكن أمر التسامح والتعايش والتعاون بينهم ممكناً برغم الاختلاف لما طلب الخالق منهم ذلك.وهو الذي خلقهم مختلفين وجعل التآلف بينهم ممكناً وليس مستحيلا.

قال تعالى: (ولَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمَّةً واحِدَةً ولا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ) (إلّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ ولِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ)(52)

(.... وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةً واحدةً وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَات إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ)(53)

(يأيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى) (54)

(49)تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم ،مج ٢٩٣٨/٥

(50)موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين ، محمد الخضر حسين (ت: ١٣٧٧)جمعها وضبطها: علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا ط١ ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

(51)سورة الحجرات آية ١٣

(52) سورة هود آية ١١٨

(53) سورة المائدة آية ٤٨

(54) أخرجه أحمد ابن حنبل في مسنده حديث رقم ٢٣٤٨٩ إسناده صحيح.

عن زيد بن أرقم كان رَسولُ الله ﷺ يقولُ:(...، اللَّهُمَّ رَبَّنا ورَبَّ كُلِّ شَيءٍ أنا شَهيدٌ أنَّ العِبادَ كُلَّهم إخوةٌ...)(55)

التسامح السياسي:

أكثر ما يحتاج إلى التخلق بالخلق الإسلامية من تقوى وورع ووازع ديني هو المجال السياسي ، لأن أكثر ما يجلب للمجتمعات الفساد والتشدد والحسد والكيد هو الخلافات السياسية والاطماع السلطوية ، وأكثر ما يسبب الاتجاه للتعصب السياسي وكراهية الند هو الشعور بالظلم وعدم سيادة مبدأ العدالة والنزاهة في اختيار التمثيل السياسي أو عدم منحة الفرصة للتعبير عن آرائه السياسية ومحاولة عرضها للمجتمع .

(تعد الثقافة السياسية من أبرز المحددات السياسية للتسامح السياسي ومن أكثرها إثارة للجدل ، وأن نمط الثقافة السياسية السائد يُعد محددا للتسامح السياسي، فحينما تسود الثقافة الدافعة للمجاراة تزداد احتمالات التعصب السياسي،والعكس صحيح)(56)

فالتسامح السياسي يضمن الحرية السياسية بكافة أنواعها الجماعية والفردية، وذلك بهدف تحقيق مبدأ الديمقراطية لجميع أفراد المجتمع.

التسامح الثقافي والفكري:

يُقصد بالتسامح الثقافي والفكري التزام الأدب والاحترام والتواضع وعدم احتقار آراء الأشخاص الآخرين، وعدم كراهيتهم ومحاولة إقصائهم وتقبل منطقهم وأفكارهم، بالإضافة إلى أنَّها تعني نبذ العنف والتنَمّر والبعد عن التعصب للأفكار التي يؤمن بها والسخرية من أفكار الآخرين.

وكما أنه عند الاختلاف والتعدد والتنوع يجب التعايش والتسامح والتعارف وقبول ذلك التمايز فالأمر نفسه مطلوب أيضاً عند تلاقي ثقافات وحضارات هؤلاء والاستفادة منها وتبادل معرفتها والاستفادة منها دون إزدراء وتمييز وإظهار للمشاعر السلبية بينهم.

ولتقريب وجهات النظر ومحاولة التعايش والتفاعل الإيجابي بين المخالفين شرعت آلية الحوار البناء الهادف ووضعت له قواعد وأسس وأصول على جميع المتحاورين الالتزام بها.

التسامح الاجتماعي:

هو البنية الأساسية التي تحكم علاقات البشر وتطلعاتهم لبناء وترقية مجتمعاتهم ولعله الأشمل من بين أنواع التسامح، لاحتوائه كافة القيم الخُلقية والتربوية السمحة التي يحتاجها المجتمع لتطبيقها على سلوكيات الأفراد والجماعات.

(55) أخرجه أبو داود في سننه، مج٢ حديث رقم ١٥٠٧ ص٨٣

(56) التسامح السياسي (المقومات الثقافية للمجتمع المدني في مصر)،د.هويدا عدلي مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان،القاهرة ، ٢٠٠٠م ،ص ٤٧

وهو الأساس لبناء المجتمعات إذ أنَّه غاية عظمى وفي الوقت نفسه وسيلة ضرورية لترقية المجتمع وتوفر الحياة الحرة الكريمة لكل افراده ، وذلك لإهتمامه بتربية النشء وتهيئة الأجيال القادمة لتفعيل خلق التسامح في المجتمعات، فيتحقق السلام والأمن والاستقرار،بالاضافة إلى سيادة روح المودة والرحمة والاحترام والتواضع والتقدير ،ممايعزز قيم التعاون والتضامن وتبادل التجارب والخبرات والانفتاح على الآخر بين أبناء المجتمعات.

وما سخره الخالق عز وجل من تطور في وسائل مادية جعلت الطريق إلى التسامح و التعارف والتفاعل أيسر وأسرع وأقوى ، بفضل ثورة المعلومات والاتصالات والثورة التكنولوجية التي قربت المسافات الزمانية والمكانية وردمت الهوة التي تفصل بين الأمم والشعوب، حتى أصبح الجميع يعيشون وكأنهم في تجمع سكني واحد.

ثانياً : الأسس المنهجية للتسامح الإسلامي :

لتحديد الأسس المنهجية للتسامح في المنظور الإسلامي لابد من دراسة رؤيته المتكاملة للإنسان كمايلي:

اولا : نظرة الإسلام للإنسان:

- وحدة النفس البشرية. والمساواة بينهم.
- فالإسلام يقر بوحدة البشرية في الأصل والمنشأ وإختلافها وتنوعها فيما تنحدر منه من شعوب وقبائل وماتتحدث به من لغات ولهجات وما تؤمن به أفكار وماتدين به من معتقدات وغير ذلك ممايثري الحضارات والثقافات الإنسانية ، مما يستدعي ضرورة التعاون والتعارف في إطار المصالح والمنافع الدنيوية المشتركة.

قال تعالى:(هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَاحدة وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ) (57)

- الدعوة للحفاظ على وحدة الأصل البشري وحمايته
- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (58)
- التكريم المطلق للإنسان كمخلوق.

(57) سورة الأعراف آية ١٨٩
(58) سورة سورة النساء آية١

۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا)(59)

- مقياس التفاضل بين الناس يقوم على أساس الإيمان والتقوى والعمل الصالح.

قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ)(60)

يَقُولُ تَعالى مُخْبِرًا لِلنّاسِ أنَّهُ خَلَقَهُمْ مِن نَفْسٍ واحِدَةٍ وجَعَلَ مِنها زَوْجَها، وهُما آدَمُ وحَوّاءُ، وجَعَلَهُمْ شُعُوبًا وهِيَ أعَمُّ مِنَ القَبائِلِ، وبَعْدَ القَبائِلِ مَراتِبُ أُخَرُ كالفَصائِلِ والعَشائِرِ والعَمائِرِ والأفْخاذِ وغَيْرِ ذَلِكَ،َجَمِيعُ النّاسِ فِي الشَّرَفِ بِالنِّسْبَةِ الطِّينِيَّةِ إلى آدَمَ وحواء عليهما السلام سَواءٌ، وإنَّما يَتَفاضَلُونَ بِالأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وهِيَ طاعَةُ الله تعالى ومُتابَعَةُ رَسُولِهِ ﷺ، ولِهَذا قالَ تَعالى بَعْدَ النَّهْيِ عَنِ الغَيْبَةِ واحْتِقارِ بَعْضِ النّاسِ بَعْضًا، مُنَبِّهًا عَلى تَساوِيهِمْ فِي البَشَرِيَّةِ :يا أيُّها النّاسُ إنّا خَلَقْناكُمْ مِن ذَكَرٍ وأُنْثى وجَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وقَبائِلَ لِتَعارَفُوا أيْ لِيَحْصُلَ التَّعارُفُ بَيْنَهُمْ كُلٌّ يَرْجِعُ إلى قَبِيلَتِهِ، وقوله تعالى: إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أتْقاكُمْ أيْ إنَّما تتفاضلون عند الله تعالى بِالتَّقْوى لا بِالأحْسابِ، وقَدْ ورَدَتِ الأحادِيثُ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.)(61)

- التسليم والاعتراف بوجود التعدد والاختلاف والإقرار بذلك وحمايته.

ثانيا: نظرة الإسلام للعقيدة والدين:

- وحدة الدين والعقيدة الإلهية.

قال تعالى:(إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ)(62)

- تعدد الشرائع والنبوات والرسالات لتعدد أوقات وأزمنة حياة الأمم والشعوب
    - وحدانية الله والدعوة إلى البر و الفضيلة ونبذ الفحش والرذيلة.
    - وحدة مصدر الأديان السماوية وشرائعها.
    - مبدأ حرية الإنسان في اعتناق الدين وعدم التعصب له.

(قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦)(63)

(59) سورة الإسراء آية ٧٠
(60) سورة الحجرات آية ١٣
(61) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن ،كثيرالقرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ ه) تحقيق محمد حسين شمس الدين ،دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت ، ط١- ١٤١٩ هـ مج٧/٣٦٢
(62) سورة آل عمران آية ١٩
(63) سورة الكافرون (١-٦)

- مبدأ العدالة والإحسان .
- دحض الباطل وشبهاته.
- إقرار الاسلام أهل الأديان على أديانهم.
- إقتضت إرادة الله أن لا يجتمع الناس على الهدى.

قوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ)(64)

- الإنسان مسؤول عن كسبه واختياره.
- ليس على الرسل إلا البلاغ .

ثالثاً: نظرة الإسلام للعلاقة بين الناس:

- تحقيق القيم الانسانية المشركة بين الناس على إختلافهم.
- التعاون بالبر والمعروف ومنع الآثام والعداوات.
- منع الاعتداء علي غير المسلمين والتكفل بحمايتهم.

قال تعالى: (وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ)(65)

- مشروعية الحوار مع المخالفين.
- الاحترام المتبادل بين المخالفين واعتراف كل منهم بحق الآخر.
- عدم التعرض للآخر بالإساءة إليه وسبّ معتقده .

قال تعالى: (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ)(66)

- القبول بالآخر والتعايش والتعاون معه مع احترام الفروق بينهم.
- ربط العلاقة بينهم لأجل مصلحة الجميع وإثراء الفكر الإنساني.

فالناس كما قال الإمام علي كرم الله وجهه:(الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق)(67)

ومن السنن الكونية الكبرى تسخير كلما في الكون لخدمة الإنسان، لذا جعل الاختلاف بين الناس كذلك بهدف المصلحة والمنفعة المتبادلة بينهم حتى تتطور الحياة الدنيا وترتقي فيسعد الإنسان بذلك .

(64) سورة الأنعام آية ٣٥
(65) سورة التوبة آية ٩
(66) سورة الأنعام آية ١٠٨
(67)نهاية الأرب في فنون الأدب ،أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)،دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣ هـ مج٦ص٢٠

- الانفتاح والتواصل والتعايش الطبيعي مع الآخر وصولا إلى أخص وأعمق العلاقات والروابط وهي التطاعم المتبادل، والتزاوج والمصاهرة.

قال تعالى:(الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(68)

- الوفاء بالعهود والتعاقدات.

قال تعالى:(وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا)(69)

الوفاء بالعهود من أهم القيم التي جاء بها الإسلام ودعا لها وحث على الالتزام بها تعزيزاً للإستقرار وبسطا للأمن والسلام حتى في حالة الحرب

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (70)

قال تعالى:(الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ) (71)

الذين يوفون بعهد الله. وهو ما عقدوه على أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم وفيما بينهم وبين أنفسهم، وفيما بينهم وبين الناس، وقد شهدت فطرتهم السليمة به.

(وأنزل عليهم في الكتاب إيجابه.ولا ينقضون الميثاق وهو العهد الموثق المؤكد الذي وثقوه بينهم وبين الله وبينهم وبين العباد من العقود والمعاملات والعهود والالتزامات) .(72)

المبحث الثالث: أثر التسامح في التعايش السلمي وبناء المجتمعات

مفهوم التعايش السلمي:

التعايش لغة: العيش يعني الحياة، وعايشه بمعنى : عاش معه ، ودلالتها عاشره (73) تعايش : عاشوا على الإلفة والمودة ، وجميعها تؤكد معنى التعايش، وعايشه تعني : عاش معه ، والعيش معناه الحياة من المطعم والمشرب والدخل(74)

---

(68) سورة المائدة آية ٥

(69)سورة الإسراء آية ٣٤

(70) سورة الأنفال آية ٧٢

(71)سورة الرعد آية ٢٠

(72)التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد - بيروت الطبعة العاشرة - ١٤١٣ هـ مج٢/٢٢٧

(73) لسان العرب لابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ_ ١٣١١) ط دار إحياء التراث العربي،بيروت لبنان د.ت ج٩ ص٤٩٧_ ٤٩٨

(74)المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ط٢ القاهرة ١٩٧٢م ج٢ ص ٦٣٩_ ٦٤

والعيش : من المعاش والمعيش يصلح أن يكون مصدرا وأن يكون إسماً ، والعيش وا لمعيشة هي مايكون به الحياة، ومنه قوله تعالى:(وجعلنا لكم فيها معايش)(75)
أي أن الأرض فيها معايش الخلق ، والعيش ترد بمعنى (الخبز والزرع) بلغة الحجاز والتعايش: المعايشة،يقول عاش معه كقولهم عاشره ، والغالب في التعايش أن يكون إلفة ومودة (76)

ومنه التعايش السلمي، وعايشه : عاش معه ، والعيش معناه الحياة، وماتكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل(77)

هذا وأن ماتقدم من تعريفات لغوية تتلخص في أن التعايش معناه ماتكون به قوام الحياة من إلفة ومودة ومأكل ومشرب ودخل.

التعايش السلمي في الاصطلاح:

اجتماع مجموعة من الناس في مكانٍ معين تربطهم وسائل العيش من المطعم والمشرب وأساسيات الحياة بغض النظر عن الدين والانتماءات الأخرى، يُعرف كل منهما بحق الآخر دون اندماج وانصهار)(78).

ان تعيش جماعات مع بعضها البعض، وأن تتآلف وتتوادٌ وتتوافق ، وقدتكون نتيجة هذا التعايش الانصهار ، بمعنى تذوب في بعضها البعض فلا تتمايز ، وقد ينتج عن التعايش إندماج ، فالجماعة الأقل ثقافة وحضارة تندمج وتذوب في الجماعة الأكثر ثقافة وحضارة، وقد يستمر التعايش وكل جماعة تحتفظ بخصائصها وعاداتها وتقاليدها ولغاتها وقوانينها ، واليهود على ذلك ، وقد دأبوا أن يعتزلوا الجماعات التي يساكنوها ، وعرف عنهم سكنى الجيتو ghetto وهي الأحياء الخاصة بهم ، ونمط المعيشة الذي يخالف من يساكنوهم ، والجيتو عموماً مصطلح يعني البيئة أو المكان الذي تعيش فيه الأقليات العرقية، والتعايش السلمي :peace ful هو تعاون وتآلف وتواؤم مختلف المذاهب والعقائد والنظم ، ومن ذلك حوار الأديان وحوار الحضارات، وهما من مصطلحات التعايش الجديدة.(79)

(75) سورة الحجر آية ٢٠
(76) تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي، دار الهداية ،لبنان ، د.ت، ج١٧ص٢٨٢_٢٦٨
(77) المعجم الوسيط،ابراهيم أنيس وآخرون.ج٢ ص٦٤٠ مرجع سابق.
(78) صبحي أفندي الكبيسي، عبدالله حسن الحديثي، "الوسائل الاقتصادية في التعايش مع غير المسلمين في الفقه الإسلامي"، مجلة مداد الآداب، العدد ٣، صفحة ٣٢٤.
(79) المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة في العربية وغيرها ، د.عبدالمنعم الحفني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٣ ٢٠٠٠م ص٢٠٣

هذا وأن الإسلام قد هيّأ البشرية للتعايش بسلام مع إقراره بوحدتها في أصلها واختلافها في مظهرها ، فجعل التعايش السلمي منهجاً راسخاً وسنة كونية إقتضته حكمة الله تعالى في خلق الناس مختلفين ومجبولين على الاجتماع ثم التعايش ، رغم الاختلاف ،بدليل قوله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ)(80)

(إذ أن ذلك الاختلاف لا يعبر عن أي شيء خاص لشخص بوصفه إنساناً ، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق من أصل واحد، وجعل الأصل في العلاقة بين الناس التعارف والمحبة والإخاء والسلم ، وبذلك تكون الحروب أمراً عارضاً.(81)

أولا : أثر التسامح في التعايش السلمي:

التسامح الإسلامي يقوم على جملة من القيم نجملها فيما يلي : (82)

- تقبل الآخر : قال تعالى:(وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلك بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ)(83)
- تدبير الاختلاف: الاختلاف يعني التفاوت في القناعات والتصورات والمواقف والرؤى مما يستلزم حسن تدبيره ليكون مدعاة إلى التفاعل والتكامل، وإلا كان سبباً للتنازع والتفرق وإثارة الضغائن فتسوء العلاقات وتفسد المجتمعات، ويحل التناحر محل التحابب والتناكر مخل التعارف والاقتتال محل السلم .وهذا هو السياق الذي ورد في قوله تعالى:(كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ)(84)
- نبذ التعصب للمعتقد : ليس من هدي الإسلام التعصب للمعتقد وإقصاء الآخر المخالف إذ مامن صاحب معتقد إلا ويرى نفسه محقاً، مما يقتضي من كل ذي عقيدة أن يقر بحق الآخر في حرية المعتقد إقرار وجود لا إقرار تصديق .
- الموضوعية والإنصاف : من ثوابت إرساء التسامح مع الآخر الالتزام بالانصاف مع الآخر وذلك بالاقرار بالحق إذا ظهر على لسانه ، لأن غاية كل ذي فطرة سليمة نشدان الحق حيثما وجد.

---

(80) سورة الحجرات آية ١٣

(81)التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس، د.عطية الكعبي ، ط١ ٢٠١٤ م عدنان للطباعة والنشر ، بغداد ، ص ١٣

(82) التسامح العالمي والتعايش السلمي في المنظور الإسلامي، حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، د. رضا ابراهيم السيد، العدد ، (٣٢)٢٠١٩ _ ٢٠٢٠م المجلد الثاني ص ٨٣٨_٨٣٩

(83)سورة التوبة آية ٦

(84) سورة البقرة آية ٢١٣

كما قال سيدنا علي كرم الله وجهه:(لا تعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله) (85)

إذا التسامح الإسلامي عبر إهتمامه بهذه القيم والتأصيل لها ومراعاة تطبيقها بالدعوة إليها يثري ثقافة التعايش السلمي وذلك بفهم دور الأديان السماوية في احترام الآخر المخالف وتعزيز القواسم المشتركة بين الناس في المعتقدات والافكار يتحقق للمجتمعات الإنسانية وإن تعددت كياناتها العيش الكريم والنهوض بالبشرية ونبذ العصبية والعنصرية والعنف والكراهية وما إلى ذلك ممادعت إليه الأديان السماوية وأكدته حقيقة الفطرة الإنسانية.

وكلما كانت النفوس عظيمة والقلوب كبيرة والأرواح سامية إستطاعت أن تحتوي الكل برضا وقبول وقناعات إيمانية راسخة ، وبالتالي تتلاشى الفوارق وتذوب الخلافات وتسقط النظرات المتعالية وتتسع الصدور بنور الايمان والتقوى وحب الإخاء في الله طلباً لرضاه عز وجل. فالناس خلق الله وطلب مودتهم ، هو تحقيق لمقام القرب والطاعة لله عز وجل.

وفطرة الإنسان السليمة تدعوه لحب من يحسن إليه ويتسامح معه ويتجاوز عن أخطاؤه ويعفو عنه ويغفر له ، لأنه بذلك يأمن عقوبته والرد على إساءته بما قد يضر به ، فتطمئن نفسه وتسكن روحه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه برغم اتساع مساحة التسامح وكثرة المواضع التي يجب ممارسته فيها بالحياة ،إلا أن ذلك ليس على إطلاقه ،فهناك بعض الحالات التي لا يجوز فيها التسامح مثل: نقض العهود أو التعرض لأذية الناس والإساءة لمعتقداتهم أو مقاتلتهم والوقوف في وجه الدين الإسلامي وإعتراض نشره وعرقلة إيصاله للناس .

وقال تعالى: (وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ)(86)

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: واقتلوا أيها المؤمنون الذين يقاتلونكم من المشركين حيث أصبتم مَقاتلهم وأمكنكم قتلهم، وذلك هو معنى قوله:«حيث ثقفتموهم».فمعنى:«واقتلوهم حيث ثقفتموهم»، اقتلوهم في أي مكان تمكنتم من قتلهم، وأبصرتم مقاتلهم.(87)

(85) الأسد أبادي، القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،القاهرة،دار مصطفى،ج١ ص ٢١١
(86) سورة البقرة آية ١٩١
(87) جامع البيان في تأويل القرآن،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،ط١ ١٤٢ - ٢٠٠٠ م مج ٥٦٤/٣

فنعاليم الدين الإسلامي بُنِيت على التسامح وعدم أذية الخلق أو البدء بالاعتداء عليهم إلا إذا كانوا هم من بدأوا بذلك فخينها يتم الرد على ذلك دفاعا وجهادا في سبيل الله.

ثانياً: أثر التسامح الإسلامي في بناء المجتمعات:

نجد في المجتمعات الإنسانية الكثير من المفاهيم الخاطئة عن الاسلام وتصوره على أنه يدعو للتطرف والإرهاب ، ولايمكن تصحيح هذه المفاهيم والقيم الأخلاقية إلا بتفعيلها وإيجادها على أرض الواقع ومعايشتها .

فمن صميم مهام التسامح الإسلامي في المجتمعات هو خلق روح السلام والوئام والإلف التام لتنصهر وتتعارف وتتآلف فيما بينها مادام أن هناك عيش مشترك وقواسم مشتركة تجمع الفرقاء وتحقق لهم طيب اللقاء على عهود ومواثيق تضمن لكل طرف حفظ حقوقه والتمتع بها كاملة دون إعتداء طرف على حق الآخر.

ولكن عندما يسود المجتمع الأمن والاستقرار والسلام يصبح قادرا على البذل والعطاء والإنتاج والتنمية والنهضة في في كل مجالات الحياة ويكون ذلك محفزاً لإيجاد الحياة الحرة الكريمة بعكس مايمكن أن ينشأ نتيجة الصراعات والعصبيات المتعنتة والحقد والكراهية بين الناس فتتوقف التنمية بسبب فقدان الأمن والاستقرار.. فمن الملاحظ ظائما أن الحروب والفقر والتشرد والضياع يكون هو المحصلة النهائية لسيادة ثقافة ثقافة العنف والتطرف والكراهية وعدم التسامح.

فلا يمكن ان تنهض المجتمعات وتُبنى إلا بترسيخ ثقافة التسامح ومبدأ قبول واحترام الآخر سواء كان مخالفا في العقيدة او اللسان او الفكر وغير ذلك..

فالإسلام كفل للجميع حق الحماية والرعاية وحفظ الحقوق

(فأصبح الأجنبي يتمتع بجميع الحقوق والأمان الذي يتمتع به المواطن المسلم ، وأصبح الجميع متساوين وحقوقه مصتنة وفي مقدمة ذلك أنفسهم وممتلكاتهم وأعراضهم ودينهم (88)

هذا وأن المجتمعات الإنسانية تتمتع في ظل الشريعة الإسلامية عبر الأزمان وفي كل مكان بما لا يوجد له نظام وضعي وبشري ينافسه على الاطلاق.لأن الشرع من وضع الخالق الذي كرم الإنسان ويعلم ماينسابه من قوانين وتشريعات ، بينما القوانين والنظم واللوائح التي يحتكم إليها غير المسلمين من الناس هي من وضع البشر .

(وإن الإنسانية في مسيرتها عبر التاريخ في الزمان والمكان لم تعرف دعوة إلى العدل كما عرفتها في ظل الاسلام ليستقر المجتمع الدولي ويعيش في أمن وأمان) (89)

(88) الأمان في الشريعة الإسلامية وأوضاع المستأمنين ، سامي الصقار ، جامعة محمد الخامس، الرباط،١٩٧٧م ص٦٩

(89) مفهوم العدل في الإسلام، مجيد خدوري ، دراسات في الفكر الديني، دمشق ١٩٩٨م ص١٣١.

قال تعالى:(وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)(90)

إذا الذي ينقص إنسان هذه المجتمعات هو تفعيل قيم التسامح والمحبة والإخاء ليكتمل البناء والتنمية والنهضة، فلايمكن يحدث ذلك في ظل الظروف المضطربة والعلاقات المتوترة ، ومن الكياسة إستثمار الوقت في العمل و البناء وليس في الهدم في التعمير لا التخريب ، فهذا ديدن المسلم في كل زمان ومكان.

الخاتمة : وبها النتائج والتوصيات

مما لاشك فيه أن التسامح الإسلامي هو من أبرز القيم الخلقية والتربوية التي جاء بها الإسلام ليحقق للإنسان العيش الكريم الفاضل..وإقراره بوحدة أصلهم وحتمية إختلافهم تدعم وتعزز سهولة إمكانية تحقيقه وضرورته للعيش بسلام وأمان واستقرار وبتعارف وتعاون يجعل من الاختلاف منحة إلهية تجعل المصلحة والمنفعة المتبادلة بين الفرقاء حكمة وسبب لإسعاد البشرية والتمتع بالتفاعل الإيجابي المثمر في حدود التواصل الاجتماعي المشترك دون عناء وبكل سخاء ورضا واحترام.

النتائج:

- إن الإسلام قد وضع المنهج الصحيح السليم للعلاقات بين الناس.
- أن مصادر التشريع الإسلامي قد حوت الكثير من الأدلة والبراهين الدامغة في أهمية قيم التسامح الإسلامي وضرورة تفعيلها وإنزالها إلى أرض الواقع.
- مايميز المنظور الإسلامي للتسامح من خصائص عدة تعود إلى نظرته الإيجابية للإختلاف باعتباره منحة تدفع للتعارف والتعاون وتبادل المصالح والمنافع الدنيوية .
- التسامح فوق كونه خلق رفيع يمثل عبادة عظيمة تدعو إلى التحلي بالصبر على المكاره وضبط النفس البشرية وحملها على تقبل إختلافات ومضايقات الآخر .
- وجود فهم خاطئ عن الاسلام ونظرة الآخر له بخصوص العلاقات الإنسانية،ممايدعو لنشر القيم الخلقية العالية والدعوة إليها بالتطبيق العملي ممايساعد على إزالة التشوهات والشبهات التي علقت بأذهان الآخرين عن الإسلام.
- التسامح يُساعد على تحقيق السلام الاجتماعي والتعايش السلمي ويصون المجتمع لتحقيق الحياة الآمنة السعيدة.
- والتعايش السلمي يمثّل أساس السلم الاجتماعي لأي مُجتمع بهدف إبعاده عن النزاعات والصراعات والسير بخطى ثابتة نحو التنمية المُستدامة.
- ضرورة التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات تزداد يومًا بعد يوم بفضل ثورة المعلومات والاتصالات والثورة التكنولوجية.

---

(90) سورة التوبة آية ١٠٥

- القيم الخلقية التي شرعها الدين الإسلامي- كخلق العدل، الرفق، والإيثار، والعفو، والإحسان والمداراة، والقول الحسن، والألفة والأمانة ، ورعاية المحتاج ونصرة المظلوم- إلى غير ذلك من الأخلاق الحميدة التي جاء بها الإسلام ، كلها تؤكد مبدأ التسامح مع الآخر،
- فطرة التنوع البشري وتوجيه الإنسان إلى الانفتاح والتواصل والتعارف وبناء جسور التعاون والتك١امل شش لبناء المجتمعات البشرية

التوصيات:

١. تفعيل الدور الفردي والجماعي والأسري لتطبيق التسامح على كل المستويات والدعوة إلى التخلق بالقيم والأخلاق الإسلامية التي تدعو لاحترام الآخر والتعارف والتآلف والمحبة والإخاء معهم.
٢. كشف تشوهات المغرضين للإسلام ومواجهة تحدياتهم في نشر سمومهم للنيل من قدسية الاسلام ومحاولات حجبهم الحقائق عن أتباعهم .
٣. تفعيل أسلوب الحوار مع الآخر والالتزام بالآداب الإسلامية في ذلك.

المصادر والمراجع:

أولا : القرآن الكريم:

١/تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثيرالقرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق محمد حسين شمس الدين ،دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت ، ط١- ١٤١٩ هـ مج٧

٢/التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد - بيروت الطبعة العاشرة - ١٤١٣ هـ مج٢

٣/تفسيرالقرآن ، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) تحقيق ، ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ،دار الوطن، الرياض -السعودية ، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م مج١

٤/جامع البيان في تأويل القرآن،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،ط١ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م مج ٣

٥/تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم ،مج ٥.

٦/ صحيح البخاري ، باب إثم من قتل ذميا بغير جرم،ح رقم ٦٩١٤

٧/الأدب المفرد بالتعليقات، الامام البخاري ،كتاب الأدب ،باب حسن الخلق،ح رقم ٢٨٧

٨/صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) (صحيح)

٩/صحيح مسلم ،كتاب البر و الصلة ،باب استحباب العفو والتواضع،ح رقم ٢٥٨٨١

١٠سنن ابو داود ،باب في تعثير أهل الذمة، ح رقم ٣٠٥١

١١/مسند الإمام أحمد بن حنبل حديث رقم ٢٣٤٨٩ إسناده صحيح.

١٢/السلسلة الضعيفة ، الألباني(ت: ١٤٢٠) ١١٦٣ ط١ ٢٤١٢_١٩٩٢ مج٣ ص٣٠٧

١٣/المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت:٦٧٦ه) ،دار إحياء التراث العربي،بيروت ،ط٢ ١٣٩٢ مج١٦.

١٤/معجم مقاييس اللغة،أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الراوي أبو الحسين (ت:395)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر1979_1399 مج٣.

١٥/معجم مقاييس اللغة العربية المعاصرة،تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي، دار الهداية ،لبنان ، د.ت، ج١٧.
١٦/المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ط٢ القاهرة ١٩٧٢م ج٢
١٧/الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٣)
١٨/تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٧_ ١٩٨٧باب الحاء فصل السين مج١ .
١٩/ المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة،د.عبد المنعم الحفني، ط٣ ،مكتبة مدبولي القاهرة ٢٠٠٠م .
٢٠/موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين ، محمد الخضر حسين (ت: ١٣٧٧)جمعها وضبطها: علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا ط١ ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م
٢٢/ لسان العرب،لإبن منظور محمد بن مكرم بن علي،أبو الفضل جمال الدين بن منظور الانصاري الرويفعي الإفريقي (ت:٧١١ه)،دار صادر،بيروت،ط٣ ١٤١٤ ه ،ج١ .
٢٢/معجم مقاييس اللغة،أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)تحقيق عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.مج ٥ .
٢٣/معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة - بيروت، [١٣٧٧ - ١٣٨٠ هـ] مج٥ .
٢٤/صبحي أفندي الكبيسي، عبدالله حسن الحديثي، "الوسائل الاقتصادية في التعايش مع غير المسلمين في الفقه الإسلامي"، مجلة مداد الآداب، العدد ٣، .
٢٥/التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس، د.عطية الكعبي ، ط١ ٢٠١٤ م عدنان للطباعة والنشر ، بغداد
٢٦/ سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين، أ.د.حكمت بن بشير بن يس ،الجامعة الإسلامية،المدينة المنورة .
٢٧/اصول الدعوة وطرقها ،مناهج جامعة المدينة العالمية،الناشر جامعة المدينة العالمية
٢٨/التسامح في الإسلام،محمد أحمد حسونة بك ومحمد خليفة التونسي،دار الكتاب العربي،مصر

٢٩/ التسامح السياسي (المقومات الثقافية للمجتمع المدني في مصر)،د.هويدا عدلي مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان،القاهرة ، ٢٠٠٠م
٣٠/نهاية الأرب في فنون الأدب ،أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)،دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣ هـ مج٦.
٣١/التسامح العالمي والتعايش السلمي في المنظور الإسلامي، حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، د. رضا ابراهيم السيد، العدد ، (٣٢)٢٠١٩ _ ٢٠٢٠م المجلد الثاني
٣٢/الأسد أبادي، القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة،القاهرة،دار مصطفى،ج١ ص
٣٣/الأمان في الشريعة الإسلامية وأوضاع المستأمنين ، سامي الصقار ، جامعة محمد الخامس، الرباط،١٩٧٧م
٣٤/مفهوم العدل في الإسلام، مجيد خدوري ، دراسات في الفكر الديني، دمشق ١٩٩٨م
٣٥/نظرات استشرافية في فقه العلاقات الإنسانية بين المسلمين وغير المسلمين، د. حسن بن محمد سفر،الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.